# جريمة قاعة هانوفر

سير باسيل ثومسون

( نشرت لأول مرة عام ١٩٢٥ )

انقضى أسبوع منذ أن أفسد السيد بيبر والصبي الصغير مخطط السيد كوهين، ولم يعد أحد يقترب من مكتبه، ويقضي الآن رئيسي (السيد بيبر) معظم وقته في إتمام أجهزته العلمية والتي لم يستخدمها خلال معاشرتي القصيرة له، لكن سرعان ما ألقت إلي المصادفات فرصة عظيمة لاختبار المواهب الفنية العالية للسيد بيبر.

فقد اقترب مني أحد زملائي في النادي لدى مشاهدته إياي، وأنا أدخن وحيدا واحتل الكرسي المقابل قائلا:

- "بالمناسبة يا جونز سمعت أنك ضليع في أعمال التحري وقد كشفت النقاب عن جريمة غامضة أقضت مضجع سكوتلانديارد طويلا، فلماذا لا تبرز اسمك بحل قضية قاعة هانوفر؟"

- لم أسمع بها قط

- "كلا.. فهي لم تأخذ طريقا إلى الصحف بعد، لكنها ستنشر".

لقد سمع بهما هذا الصباح فقط، فمالك البيت له أخت تملك قاعة هانوفر، وقد فتحت أمتعة أحد المستأجرين لكونه متخلفا عن دفع

الأجرة، فإذا بها تصعق وتصاب بذعر شديد حين وجدت في رزمة كبيرة ما يبدو بقايا كائن بشري، فما كان منها إلا أن ركضت إلى أخيها الذي استشار صديقي عما عساها تفعل؛ فقام كالعادة بإبلاغ الشرطة، لكن حسب ما يعرفه فهي لم تبلغ الشرطة بعد، ثم أعطاني عنوانها.

أمسكت بقبعتي وأقلتني سيارة أجرة إلى قاعة هانوفر، فوجدت المالكة المسكينة وهي تضرب كفا بكف

- "سمعت بالقضية من أخي يا سيدي؟.. حسنا إنني سعيدة لقدومك في هذا الوقت الحرج، كنت على وشك الاتصال بالشرطة، لكن هذا سيفسد عملي تماما، فوجود الشرطة في البيت تسأل هذا وتفتش البيت ثم تدعوني إلى المحكمة كشاهدة، ثم تكتب الجرائد عني وعن العنوان، عندها يفقد أية فرصة للحصول على مستأجرين من الطبقة الأولى، فمن سيقبل الإقامة في مكان حصلت فيه جريمة؟.. هذا غير لائق، والآن إذا أخذت الرزمة ومسؤوليتها سأتنفس الصعداء، طبعا إذا كان في الأمر جريمة، فسأتدخل، لكن عالج الأمر مؤقتا بعيدا فلا أرغب بسماع شيء عنه

وافقت على الموضوع شرط أن تزودني بالمعلومات التي بحوزتها؛ فقامت بعرض الرزمة في الطابق الثاني علي، ففتحتها بأصابع مرتجفة.. كانت تحتوي على عدة ربطات ملفوفة بورق جرائد متسخ، وما يبدو أنها بطانية عسكرية قديمة، ثم تأكدت من وجود العظام البشرية بداخلها.

ساعدتي العجوز على حمل الرزمة إلى الطابق الأرضي لشحنها إلى مكتبي، خلال هذه الفترة سردت علي قصة المستأجر.

- لقد كان كما يقال غريب الأطوار – فهو يخرج دائما دون ترك ملاحظة – يرسل إلي خطابات للمحافظة على غرفته وأمتعته، كما يرسل لي أجرة غرفته بالبريد أثناء غيابه. كان يكتب من كل بقاع نابولي – مصر – أثينا، وقد تسلمت رسالة منه من البيرو – لم اكن أعلم موعد قدومه قط – وكل ما كان يقوله أنه كان في جولة عمل وعلي أن أطمئن وأعتني بقطته

- لم تخبريني باسمه يا سيدة أوجير.

- الحق أني نسيت كنا ندعوه "الدكتور" لأنه عند قدومه للمرة الأولى منذ خمس سنوات ذكر لي شيئا ما عن ممارسته لمهنة الطب، ولكن اسمه الحقيقي "هنري إلين"

- يبدو إنكليزيا

- أوه، ليس فيه شيء أجنبي سوى شعره؛ فيبدو وكأنه لا يحلق أبدا شعره وغرابة أطواره، فإن الأجانب غريبو الأطوار، أليس كذلك يا سيد جونز؟ عمره؟ حسنا! إنه بين الثلاثين والخمسين من العمر كما أعتقد

- أليس له أصدقاء زوار؟

- ذلك هو الشيء الغريب، لا أحد.. لا، لقد نسيت قبل ثلاث سنوات جاءت سيدة وسألت عن الدكتور إلين، فسألتها عن الاسم الذي أقدمه له، قالت: لا عليك، أخبريني فقط في أي طابق هو، وسأذهب إليه بنفسي، ثم صعدت إليه، ولكن على ما يبدو سمع صوتها فقد هبطت بعد قليل قائلة أنه غير موجود، وعندما ذهبت بنفسي كان في غرفته مختبئا تحت السرير لم يقل شيئا عن الموضوع، أعتقد أنها زوجته، لكنها لم تعد ثانية على ما أعتقد.

- وهل كان يتلقى رسائل؟

- نعم، واحدة كل شهر في اليوم الثاني من الشهر بالتحديد، تأتي رسالة ضخمة كتب عليها: هنري إلين ي. س. ك، دون كلمة دكتور. أعتقد أنها من البنك، ولكن لا أذكر أي بنك هو لم يكن يتناول طعام قط هنا، حتى وجبة الإفطار، لكنه اعتاد إحضار القليل من اللحم لقطته. أين كان يمضي النهار؟ هذا ما لا أعرفه يا سيدي.. طوال أيام الأسبوع، كنت أسمعه نازلا في الساعة التاسعة تماما، حتى أني كنت أضبط ساعتي عليه، فيمر بي قائلا "صباخ الخير" فقط، أما في أيام الآحاد فكان يظل مستلقيا في السرير حتى الحادية عشرة.. أوه.. كان غريب الأطوار، لكن ليس بدرجة ارتكاب جريمة وحشية؛ فهذه جريمة وحشية يا سيد جونز أن تقطع أوصال شخص ما بهذا الشكل.. أليس كذلك؟

- متى رأيته آخر مرة؟

- في نيسان الماضي قبل ثلاثة أشهر خرج من المنزل كالمعتاد وعندما ذهبت لتنظيف الغرفة وجدته قد حزم كل شيء برزم، فقلت لنفسي سيرحل ثانية وهذا ما كان، لكن هذه المرة لم تصلني منه أية رسالة، ولم يرسل لي أجرة الغرفة، ولم يترك وراءه ولا قصاصة ورق تكشف الأمر ترك ثيابا قديمة وهذا الذي تراه

- والرسائل من البنك؟

- هذا هو الشيء المحير كلما سافر تتوقف هذه الرسائل، لم تصلني أية رسالة منذ مغادرته هل تظن أنه انتحر بعد ارتكابه الجريمة؟

- علينا التأكد من أن هناك جريمة أولا يا سيدة أوجير، وأعتقد أنه لم يفقد أحد من الجيران

- فكرت للحظات ثم هزت راسها وقالت:

- لكني متأكدة من أن السيدة التي زارته هي زوجته

- لماذا؟

- حسنا.. لقد كانت لها طريقة متسلطة وغير لطيفة، وقد اختبأ منها تحت السرير.. إن الرجل لا يهرب من أي شخص إلا زوجته

وهنا استنتجت أية قناعات تملكها السيدة اوجير عن تجربة الزواج.

- إذا كانت زوجته ماذا في الأمر؟

- قد تكون هذه بقاياها

ساعدني السائق الجاهل بمحتويات حمولته مقابل شلن إضافي في حمل الرزمة إلى مكتبي أعلى الدرج، وهناك ارتسمت على وجه رئيسي علامة استفهام، وبعد أن انصرف الرجل أخبرته بالقصة وفتحت الرزمة.. لم أره على مثل هذا التأثر من قبل. قام بوضع العظام على الطاولة وكأنها جواهر، لاحظت أن بعضها يحمل بقايا لحم شيء مقزز تماما ثم حملنا الهيكل العظمي إلى المختبر وخصصنا له طاولة وبينما هو ينظم العظام بشكلها الطبيعي أخذت أدون ما اخبرتني به السيدة أوجير.

إذا كان هناك عيب في رئيسي، فهو أنه حاول القيام بنفسه بما يجب أن يطلب من خبير، كان في نيتي أن أستدعي جراحا أو مشرحا، وأدعه يبدي رأيه بالعظام، لكن ما أن أدليت باقتراحي حتى قفز رئيسي في الهواء قائلا: "ماذا يعرف جراحك عن إعادة البناء البلاستيكي؟

ولعدم معرفتي بما هو البناء البلاستيكي أجبت "لا أعرف" قال: "حسنا، سأريك".

وعندما أذن لي بدخول المخبر ثانية، شاهدت بدهشه شديدة العظام وقد وضعت بشكل هيكل متكامل على الطاولة. قال رئيسي: "هناك بعض العظام المفقودة لكن الشيء المثير أن الجسم مشوه مما يجعل مهمتنا أسهل، لكنها حالة مميزة؛ فرجل المرأة اليسرى أقصر بثلاث إنشات من اليمنى، واليد اليمني أقصر بإنشين من اليسرى، لا بد أنها كانت بشعة جدا"

ثم أضاف بثقة: "سنعرف حالا كيف كانت تبدو"، وأخذ يعالج شيئا في قدر ماء دافئ، كانت الجمجمة مثبتة إلى الطاولة بملازم خشبية، بينما أخذ يشكل بمهارة فائقة قطعا مخروطية من كتلة من الشمع الموجود في القدر، ثم يسخنها فوق مصباح كحولي حتى تصبح كتلة من الشمع الموجود في القدر، ثم يسخنها فوق مصباح حتى تصبح طرية فيلصقها فوق الجمجمة، وتدريجيا تشكل الوجه، وبعد ساعة من معالجته الخبيرة أصبح وجها بشريا بالتأكيد لكن أي وجه؟ لا يرى إلا في الكوابيس، وإضافة إلى جسدها المشوه، لا بد أنها كانت عرضا حيا!

قال: "ها هي المغدورة كما كانت على قيد الحياة، وأقول بلساني أنها تستحق الموت".. تمالكت نفسي، واقترحت استدعاء السيدة أوجير إلى المكتب لتتعرف على السيدة إلين، لكن رئيسي قال أن الوقت لم يحن بعد لذلك"

"دعنا نجد المجرم أولا ثم نواجهه بضحيته، وسينهار بالتأكيد حين رؤيته ذلك، ونسبة ذلك تسع من عشرة حالات، وسيدلي باعتراف كامل"

"وإذا حدث هذا، حتما سنقوم بتسليمه للشرطة"

"نعم.. لكن لنلق القبض عليه أولا، ساعد تقرير ثم نهتف لسكوتلانديارد الرائعة"، وكانت لهجته تنم عن التهكم وغطى البقايا بملاءة، ثم جلسنا نفكر بالوسيلة المثلى لإيجاد هنري إلين. اقترحت أن نعلن عنه في الصحف الرسمية كما يلي: "هنري إلين تعال، وكل شيء سيكون على ما يرام"

- عندها سوف يذكر في محاكمته أنه قد وعد بعفو كامل.

- وإذا لم نكتب كما يلي: "إذا اجتمع هنري إلين ١٧ – قاعة هانوفر بالسيدان بيبر وجوفز أوولفي – لندن، فسوف يسمع شيئا يهمه"؛ فأظهر سخطه، وخشيت أن تكون جرأتي على وضع اسمينا معا سبب سخطه.

- هل تعتقد حقا أن رجلا يعيش في خوف دائم من انكشاف أمره سيمتثل لتلبية إعلان؟

- حسنا.. إنك تراهم في الإعلانات كل يوم عندما يريد المحامون القبض على شخص ما. لا بد أن يلبي أحدهم النداء وإلا لما نشرت

- كلا.. يا سيد جونز. إذا كنا سنستخدم الصحف، فسيكون ذلك بطريقة مختلفة تماما. لدي هنا (وأشار إلى بطاقة بشكل فهرست) عناوين الصحف العالمية اليومية والأسبوعية، سوف نعد مقطعا إخباريا فحواه أن رجلا إنكليزيا، واسمه هنري إلين قد ورث مؤخرا عن سيدة غريبة الأطوار مبلغ مليون ونصف جنيها" وذيل الإعلان بـ "السيد بيبر" (لم يكن هناك ذكر لجونز) كتب السيد بيبر المقطع للوارث السعيد دون ذكر عنوان، فما كان إلا أن عادت الرسائل بالبريد ثانية، فكتب ثانية وأضاف: "إذا لم يظهر السيد إلين شرعيته خلال ستة أشهر فسوف تؤول النقود إلى جمعية القطط المتشردة في لندن، وقد قمنا بترجمة هذا إلى كل لغات العالم عبر وكالة النشر"

- ألا تخشى الاتهام بالإعلان الكاذب؟

- كل شيء معد، سنواجههم بالجثة أولا، وبالسيدة أوجير ثانيا، وسنرى كيف يولون الأدبار.

بدت لي طريقة ملتوية، ولا بد أنه طبقها؛ فقد كتبت امراة إنكليزية من المجر تقول أنه لم يظهر السيد إلين فهناك في المجر قطط تتضور جوعا أكثر من لندن، وأن أصواتها تمنعها من النوم أثناء الليل، وأنها ستكون سعيدة إذا أرسلنا لها جزءا من المبلغ لتخصيص بيت يؤويهم

كتب رجل آخر من بلدة ريفية من المملكة موقعا باسم "هنري إلين" يطلب فيها النفقات الضرورية ليتمكن من القدوم للحصول على إرثه، وآخر كتب من مدينة البحيرة المالحة أنه معروف محليا باسم "ريتشارد دويتر" إلا أنه على قناعة أن أمه أسمته "هنري إلين"، وسوف يأتي ليحصل على إرثه. وكتبت سيدة من بوينس آيرس تدعى "ماري إلين"، ادعت أن الوصية من حقها لأنها عندما كانت فتاة كان زملاؤها في المدرسة يدعونها بـ "هنري"، ولكن "هنري إلين" الحقيقي لم تصل منه كلمة.

فقد رئيسي صبره؛ فقد كان مشغولا بعدة حالات وبقايا المرأة المقتولة تقف في طريقه محتلة نصف المخبر، وقام بوضع باروكة شعر على الجمجمة وصبغ وجنتها فبدت قريبة إلى الأحياء، وقال لي في صباح أحد الأيام:

"سيد جونز، يبدو أننا لن نوفق في الوصول إلى هنري إلين هذا، فلم لا ترسل إلى السيدة أوجير للتعرف على الضحية؟ ثم نتابع على ضوئها".

"لم ترحب السيدة أوجير بالاقتراح، وذكرتني باتفاقنا بألا تتدخل بالموضوع، وقد وجدت صعوبة بالغة في إحضارها إلى المكتب. وما أن كشفت الملاءة عن الهيكل حتى ندت عنها صرخة فزع وسقطت على المقعد وهي تلهث: "أوه، قلبي المريض!"

قال رئيسي: "هل تعرفت عليها يا سيدة أوجير؟.. هل تشبه زوجته؟"

"إنها لا تشبه شيئا على الأرض، سأظل مريضة لأسبوع بعد رؤيتي إياها"، لقد كانت خيبة أمل كبيرة.

أقنعت رئيسي بالتقاط صورة فوتوغرافية للضحية ونشرها في الجرائد في باب المفقودين، قام بالتقاطها، ولكن قبل أن أذهب إلى مكان الصحيفة حدث شيء غيّر مجرى التحقيق كليا فقد عادت السيدة أوجير. لقد عرضت علينا بطاقة بريدية قادمة من جنوا أرسلها السيد إلين نفسه يقول فيها أنه سيكون في لندن خلال أسبوع قالت:

"والآن، ماذا سأقول له عندما يسألني عن الرزمة؟ لا يمكن أن أخبره أن البوليس قد أخذها، من الأفضل إعادة حزم هذه العظام بورق الصحف كما كانت في الرزمة "

طبعا لم يوافق رئيسي على هذا العرض، وأشار أنه طبقا للقانون فيجب على السيدة أوجير إلقاء القبض عليه حالما يضع قدمه في

المنزل. صاحت بدهشة:

"أنا ألقي القبض عليه! كيف لامرأة أن تلقي القبض على رجل؟"

فقلت: "إن القانون لا يميز بين رجل وامرأة يا سيدة أوجير، وقد دخلت المرأة إلى هيئة المحلفين وإلى الشرطة، وكل ما عليك فعله أن تضعي يدك على كتفه قائلة "هنري إلين، إني أقبض عليك بتهمة قتل امرأة مجهولة، وعلي أن أنبهك أن كل كلمة أو تصرف تقوم به سيدون ضدك في المحاكمة" ثم اكتبي ما يقول، واحبسيه في غرفته، ثم اتصلي بـ السيد بيبر "١٢٠٢ سنترال"

"لن أفعل هذا يا سيد جونز، ولو ارتكب ثلاث جرائم عليك أنت القيام به"

نظرت إلى السيد بيبر، ونظر إلي، رأيت أن هذه هي اللحظة المناسبة لتدخل البوليس الذي يدفع له أجرة على ذلك، ولكني لم أجرؤ على القول، قمنا بتهدئة السيدة أوجير بأننا سندرس الوضع فما زال أمامنا أربعة أيام. كان السيد بيبر قلقا والحل الوحيد الذي اقترحته علي أن أنتظر أمام بيت السيدة أوجير كل يوم حتى قدوم السيد إلين، فأستدرجه إلى المكتب، وهناك نواجهه بالضحية ثم نتصرف تبعا لتطور الأمور، فإذا أظهر علامات الذنب نتصل بالشرطة. وهذه هي المرة الأولى التي يتواضع ويذكر فيها الشرطة. لكني لم أرحب كثيرا بالدور المسند إلي، لكن تتابع الأحداث الغريب أنقذني، وأدين بهذه النجاة لصديقي في النادي الذي ورطني بهذه القضية منذ البدء.

كان صديقي يتناول غذاءه على طاولة لاثنين وما أن مررت به حتى استوقفني وقدمني إلى ضيفه، وهو رجل متوسط العمر، وقد خط الشيب لحيته ثم طلب إلي الانضمام إليهما. ومن خلال المحادثة عرفت أن الضيف رئيس مدرسة طبية معروفة في لندن، وكان لدى ظهوري على وشك التحدث عن ظاهرة مؤسفة في المدرسة، طلب صديقي إليه أن يعيد القصة من البدء قائلا:

"إن صديقي جونز هو خير من يقدم النصح في هذا المجال، فهو من ألمع رجال التحري في لندن، وعلى أن التعبير كان سيئا إلا أن نيته كانت حسنة".

قال الطبيب: "لكني لا أريد أن يتدخل البوليس، حتى نعرف المزيد على الأقل"

قال صديقي: "ليباركك الله، إن السيد جونز لا علاقة له بالشرطة فهو مخبر خاص، مخبر فذ"

وبعد أن اطمان الطبيب أخذ يسرد قصته.. اختفى الصبي المساعد للموظف المسؤول عن المشرحة في المدرسة منذ يومين، وكانت شخصيته نموذجية لا يملك المال ولا أعداء له، لقد وضع (المواد) مساء الاثنين.

وفي الثامنة من صباح اليوم التالي كان عليه العودة للعمل كالعادة كان يوما مليئا وعندما وصل الطلاب في العاشرة كان قد فات الأوان. اشتكوا إلى الطبيب لأن (موادهم) لم تحضر بعد، لن يستطعيوا تقديم

الامتحان القريب كما يجب، أرسلنا إلى موظف المشرحة الذي علم لتوه عن غياب جون. أرسلنا إلى بيته للاستفسار، لكن لا بيت له، ومر اليوم دون أية أنباء عنه، ولم يعد بوسعنا إلا أن نعلم الشرطة عن اختفائه، لكننا وجدنا أنه سيضر بالطلاب سيشوش تفكيرهم، وإذا كان الصبي المسكين – والتقط الدكتور هنا أنفاسه بصعوبة – ضحية مكيدة من المبنى نفسه، فأي وضع لا يطاق سيكون عندها

"ما الذي يجعلك تشك بهذا؟"

"حسنا.. لا أعرف بالضبط، ربما لأني سمعت أثناء مروري قبل بضعة أيام بالمشرحة، سمعت الموظف يتحدث بقسوة وفظاظة إلى الصبي الذي أجاب بالطريقة نفسها كان شجارا حول الواجب والمسؤولية، وكيف يجب الالتزام بالمبدأ، ثم ابتعدت لكني أعترف أنه ترك انطباعا سيئا في مخيلتي، فقد بدا موظف المشرحة لي دائما، خادما ممتازا وهو معنا منذ سنوات، لكنه عصبي المزاج، ربما كانت واجباته الثقيلة تجعله بهذه الفظاظة".

"لكن هناك فرق كبير بين الكلمات البذيئة وارتكاب الجريمة".

"أعرف، أعرف، لقد بدا لي فقط – لا بد أني متوهم – لأن رجلا بمكانه يبقى مع صبي وحده ولساعة متأخرة مع وجود وسائل شتى للتخلص من الجثة، فهناك الفرن وما شابه، ولكن هذا كله محض افتراض".

خيّم الصمت علينا لبعض الوقت بينما بقي طعامنا لم يمس ثم قال

صديقي: "لماذا لا تطلب من جونز أن يذهب معك؟ يمكنه التجول في المكان والتعامل مع العامل بشكل لا تستطيعه أن تقدمه على أساس أنه يبحث عن الولد المفقود".

استدار الدكتور إلي وقال: "هل تفعل؟ فهذا الأمر يشغل بالي"

لم نضيع وقتا أكثر؛ فقد كانت سيارة الدكتور تنتظر في الأسفل، ثم اتجه بي إلى المدرسة قلت: "إذا لم يكن عندك مانع، أود أن تقدمني إلى موظف المشرحة وتدعه يريني المبنى بنفسه، مما يتيح لي طرح الأسئلة معينة عليه بشكل غير رسمي"، وهذا ما كان الدكتور يريده لذا أخذني مباشرة إلى المخبر حيث قال لرجل متوسط العمر: "ستكوك هذا هو السيد جونز الذي سيبحث عن الشاب جون، وعليك أن تريه المبني" ثم صافحني وذهب.

بدا ستكوك سعيدا لرؤيتي وقال: "من الأفضل ألا نشوش الطلاب في غرفة العمليات فهم على وشك الانصراف في الخامسة، ويمكننا حتى ذلك الوقت أن نرى الدور السفلي للمبنى. يا له من أمر مؤسف، ذلك الذي حدث لجون، لقد لاحظت أن الأمر ليست على ما يرام معه في الآونة الأخيرة حتى أنه فقد الاهتمام بعمله".

"هل كان هناك شيء محدد بذهنه؟"

"هذا ما أعتقده لأن الأشياء كانت تسقط من يديه أعتقد أنه كان على صلة بفتاة لا تريده، وقد سالني يوما: "كيف لزوجين شابين تدبر

أمورهما بأدنى حد ممكن في لندن يا سيد ستكوك؟"

وعندما قلت: "جنيهان في الأسبوع" انهار تماما، وكأني لطمته وقد تغير تماما منذ أن رفت من الجيش إلى هنا يرسلونها يا سيدي"

"يرسلون ماذا" قال باستغراب: "المواد وهذا المرجل" كان الفرن يتوهج خلف باب محمر من الحرارة. "من المسؤول عن إيقاد المرجل؟"

"الشاب جون، لكنه أهمله في الفترة الاخيرة فوقع الأمر على عاتقي، وكذلك الأمر مع الحزم".. "الحزم؟".. "نعم حزم المواد إلى الأكفان هنا غرفة الحزم" وجدت نفسي في غرفة ضيقة كالزنزانة تترامى على جانب أكوام من الأكفان، وعلى الجانب الآخر صوان من العظام والجماجم تتدلى منها قطع اللحم. قال متابعا: "إنهم يرسلون هذه المواد من غرفة العمليات، وعلى الشاب جون أن يشكل جسما متكاملا ويضعه في كفن، وكما ترى فيجب أن يكون دقيقا قدر الإمكان فيجب أن يكون هناك جمجمة واحدة وذراعان وقدمان في كل كفن قبل أن يثبت بالمسامير ويؤخذ إلى المقبرة، لكنه غدا مهملا مؤخرا"

"هل تعني أنه كان يخلط الأجسام؟"

"أود أنه لو لم يكن لي يد في هذا يا سيدي.. فلا تستطيع أن تفصل هذه الأكوام، لكننا نحتفظ برموز الأسماء على كل كفن من أجل الجنازة، وطبعا قد لا تكون أسماء الموتى للجثث نفسها، فقد تجد في الكفن الواحد أجزاءً لعشر موتى".

وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث جلست على صندوق خشبي وسألت:

"ماذا بالمواد عندما يرسلونها إليك؟"

"إذا تفضلت بالوقوف بعيدا سوف أريك لأنك تجلس عليها، سيدي"

لا بد أني أجفلت بحركتي السريعة لأنه قال مبتسما: "إنها لا تعض سيدي" ثم فتح غطاء الصندوق فتلصصت من وراء كتفيه لأرى بقايا عشر أجسام بشرية قديمة وحديثة حالة البشرية من المتشردين والوحيدين الذين يقضون حياتهم في شوراع وورش لندن، وربما لا يتأسف عليهم أحد سوى البؤس الذي عرفوه، لقد قدموا للبشرية بموتهم أكثر مما قدموه في حياتهم، حيث قدموا مادة البحث للعقول الشابة. ثم أغلق الصندوق ونظر إلى ساعته:

"سنصرف الطلاب الآن يا سيدي سآخذك إلى غرفة العمليات"

وقادني عبر الدرج إلى غرفة واسعة بنوافذ كبيرة عالية، بينما اصطفت عشرات المناضد، وقد غطي كل منها بملاءة تخفي ما تحتها من مواد كانت بيد الطلاب، وفي نهاية الغرفة كان هناك عدد من الأبواب الحديدية كتب عليها (رأس)، (ذراع)، (رجل)، (صدر) وهكذا؛ فسألت ستكوك إذا كان بالإمكان إخفاء جسم جون في أحد هذه الأبواب، ففتح أحدها بينما أطلت القطع البشرية متراكمة فوق بعضها بأوضاع مختلفة.

"إن هذا ما يجعل عملنا في الدور السفلي صعبا فهنا عشرون ذراعا

عليك إيجاد الأجزاء المناسبة لها من الأبواب الأخرى. لكن في الوقت نفسه تسهل هذه العملية على الطالب لمعرفة ما يريد".

نظرت إلى الأذرع البشرية، فشعرت أني قد رأيتها من قبل، لكن أين؟.. ثم ومضت في ذهني ذكرى السيدة المقتولة.. استدرت إلى ستكوك وسألته: "هل سبق لك أن فقدت بعض الأجساد؟"

"أوه.. بين الفينة والأخرى قد يأخذ طالب يدا أو قدما لدراستها في البيت ولا يعيدها، وعندها يقع في مشكلات كثيرة لأني أجعله يوقع على صك استلام لكل قطعة، ولا يمكنه أخذ قطعة أخرى حتى يعيد ما في حوزته، ولكنني لا أجزم باستطاعتي دائما استرداد كل شيء، ثم هناك إلين على سبيل المثال فسوف يكون عقابه عسيرا عندما يعود إذا عاد أصلا"..

قلت محاولا التغلب على انفعالي: "أخبرني عن إلين هذا".

"أوه.. عليك أن تسأل المسؤول عنه، فسيحكي الكثير عنه. لقد سرق جسدا بأكمله العام الماضي، لقد سرق أكثر من جسد، الماكر! سأخبرك كيف فعل هذا، ففي الاثنين طلب رأسا، وفي الخامسة عند الانصراف رأيته ياخذ الرأس إلى الصندوق، واعتقدت أنه سيعيده طبعا، ثم طلب ذراعا وقام بالعملية نفسها، وهكذا وجدت وخلال أسابيع أنه أخذ جسدا كاملا، ولكن بعد فوات الأوان لا ادري لماذا يدعه المسؤول يعود في كل مرة، لكن إذا عاد هذه المرة فسأعرف كيف أقابله"

ثم أخذ يقلب بعض الأوراق كتب أعلاها هنري إلين، وقال ٢٠

حزيران الرأس رقم ١٢٨ – أنثى، ٢ تموز صدر ٤٣ – أنثى . وهكذا"

"هل تستطيع التعرف على القطع إذا رأيتها ثانية؟"

"أتعرف عليها؟.. نعم وأقسم على ذلك، فعندما أخذ إلين المواد وضعت علامة عليها حتى لا يكون هناك خطأ أنها سرقت، ولن أستطيع التأكد من رقم الجنازة"

سألته إذا ما كان المسؤول موجودا الآن في المبنى لأني أريد مقابلته. نظر إلى ساعته، وقال: "يمكنك اللحاق به إذا أسرعت يا سيدي؛ فهو يغادر في تمام السادسة، إنه في الباب الثاني على اليسار في الممر"

وصلت في الوقت الذي كان يضع الدكتور فيه قبعته، قال:

"حسنا.. هل هناك بصيص من أمل؟"

"أعتقد أني توصلت إلى شيء أكيد، وهو أن الشاب جون لم يقتل في هذا المبنى"

"هل تعتقد ذلك؟"

"أعتقد أن عليك الاتصال بسكوتلانديارد على أنه مفقود، وتعطي عنوان بيته فقد تكون حالة انتحار"

(وقد كنت على حق فقد انتشلت جثة جون من التايمز في اليوم التالي، وفي جيبه رسالة توضح الأمر).

"لكني الآن بصدد السؤال عن موضوع آخر تماما. هل لديك طالب اسمه هنري إلين؟"

وضع قبعته ورفع يده: "هنري إلين! هل عاد ثانية؟.. لم أقابل رجلا مثله في حياتي قط، إن المرء ليعتقد أنه مجنون، لقد كان طالبا هنا لمدة ست سنوات، وقد اجتاز كل امتحاناته التمهيدية بتفوق، وكنت أعتقد أن الامتحان الأخير سيكون كذلك، إذ به وعند مساء الامتحان يقدم ملاحظة تقول أنه مضطر للسفر خارجا لمدة ستة أشهر، ولا أدري إن كان هذا نوعا من الهروب من الامتحان، أو حبا بالتجول، وربما كلاهما.. لقد كان أكبر من بقية الطلاب، وشخصا ممتعا تماما لم يكن له أصدقاء هنا، لكنه كان يدفع أقساطه.. عليك سؤال ستكوك عنه فسيخبرك الكثير فهو يتهمه بسرقة بعض المواد"

"أعتقد أنه علي حق في هذا لكني سأعيدها ثانية اذا كنت تعتقد بقيمتها الثمينة"

"هل هناك شيء في لندن لا تعرفه؟ طبعا ذات القيمة"

هل يمكن لستكوك أن يرافقني ليتعرف عليها؟

"طبعا بإمكانه.. رتب الأمر معه، والآن علي الانصراف، ولا أعرف كيف أشكرك"

وجدت ستكوك في المخبر يتناول الشاي وقدم لي فنجانا:

"إن الشاي ينعش المرء في المساء"، ودفع بعين بشرية عن المكتب ليفسح مكانا للفنجان بينما كان يأكل ويشرب.. كان هذا المخبر مكانا فظيعا فالقوارير تتدلى من السقف إلى الأرض ومحتوية على أجزاء بشرية بشكل ما، وعلى شكلها المقزز فإنها لم تفسد شهية ستكوك.

"قلت لي أنك تستطيع التعرف على القطع التي إخذها إلين".

"جربني سيدي"

"هذا ما أريدك فعله إذا جئت معي".

"سأذهب حيث تشاء".

كانت الساعة السابعة عندما دخلنا المكتب كان رئيسي لا يزال موجودا طلبت إلى ستكوك الانتظار في الردهة حتى أستدعيه.

قال رئيسي قبل أن أتكلم: "لقد كنت أفكر بقضية هنري إلين يا جونز. لقد انتظرتك طوال فترة الظهيرة وإني مقتنع الآن أن إلين هو نفسه جاك الممزق وهذه المراة هي إحدى ضحاياه".. دهشت لهذا كثيرا حتى أنني نسيت ما أنا بصدده ثم تابع: "كل شيء يشير إلى ذلك: مفاداته الشخصية وأسراره، اختفاؤه المفاجئ، عندما تتمكن من إلقاء القبض عليه لا تستغرب حيازته لسكين"

"لا تكمل يا سيد بيبر حتى تسمع ما سأخبرك به، لدي رجل يقول أنه يستطيع التعرف على العظام فهي أجزاء من المدرسة الطبية سرقها إلين منه"

لم أر وجها يتلون بالخزي بهذا الشكل خاصة وأني اختطفت منه قضية مهمة شيقة في مدة خبرته القصيرة. قال بفتور "دعه يدخل". ثم أضاء المخبر، وقدت ستكوك إليه. قام رئيسي بكشف الغطاء عن العظام بينما ركزت عيني على ستكوك، لم يعبر وجهه عن شيء في البدء، ثم أخذت عيناه بالتصلب وسرى فيه تعبير غريب لا يوصف، وعندما التقط أنفاسه أخيرا، التقط إحدى العظام وقال: "إنك على حق سيدي فهذه العظام كلها لنا.. ها هي علامتي الخاصة فوق العظام" وأراني رقم ١٢٨ منقوشة على عظمة، ثم نظر بقسوة إلى الوجه؛ فسرت بجسدة رعدة قوية، واعترف أن شعوره مضحك تجاة العظام، ولم أتجرا على النظر إلى وجه رئيسي. قلت بلطف:

"أعتقد أنه من الأفضل أن يأخذ السيد ستكوك العظام معه فهي تخص المدرسة الطبية حيث كان إلين طالبا، فهذه سرقة".

لم يبد رئيسي أي تعبير، بدأ يفك العظام

قال السيد ستكوك: "عندما يعود إلين إلى البيت، ويسأل عن رزمته يجب أن تأخذه إلى المسؤول إذا لم يكن لديك مانع"، ثم نظر إلى الجسد ثانية وقال: "لن أفسد هذا العمل الشمعي أبدا.. سنضعه في متحفنا لا بد أن صديقك احتار لاختلاف أحجام الأرجل والأذرع".

"لقد تحير وظن أن المرأة كانت مشوهة"

"يبدو أنه لم يلاحظ أن لها رجلا وثلاثة أيد، لأنني ألاحظ أنه قد وضع يدا مكان الرجل المفقودة".

فتح الباب في الوقت نفسه وأطل السيد أوجير ليقول: "أوه.. السيد إلين، أين كنت بحق السماء؟"

قال بصوت ضعيف: "كنت في لشبونة"

أما أنا فقد ألقيت بيدي على كتفه وقلت:

"سيد إلين إنك مطلوب من المدرسة الطبية لتقدم إيضاحا عن سبب حيازتك لبعض القطع التشريحية الخاصة بها. وأود أن أحذرك أن كل ما تقوله أو تفعله مدون وستواجه به في المحاكمة"

شحب لونه بشدة، بينما صفعت السيدة أوجير الباب بشدة، لكن المسؤول في المدرسة الطبية رفض تقديمه للمحاكمة.